

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال - دراسة تأصيلية لسنة الرحمة مع البلاء -

بقلم

نبيلة عايسي(*) ، أ.د عبد الحليم بوزيد(**)



ملخص

تحاول هذه الدراسة التّأصيل لسنة من سننه تعالى، تتميّز بإمكانية ملاحظتها واختبار وجودها في أيّ لحظة من لحظات حياة الفرد والجماعة، ومن خلال سورة مدنيّة وميدانية، تحتوي على العديد من السنن الربّانية والإلهية. ولكن هذه السنة غير مُنتبه إليها في خضم وقع وبروز السنن الأخرى ربها؛ لأنّ الإنسان مجبول على الشعور بالألم دون النعمة، باعتبارها الأصل والنعمة طارئة؛ فلا يتنبّه إلا لما يهدّد وجوده وملذّاته. إنّها سنة الرحمة مع البلاء الذي يمسّ الفرد أو الجماعة. وتخلص الدراسة بعد تحليل الآيات، إلى أنّه ما من سنة قهريّة؛ لم تكن نتاجاً لسلوك بشري، إلا سبقتها أو صاحبها أو تبعها سنة الرحمة الربّانية التي تخفّف عن الإنسان جهدها.

الكلمات المفتاحية: سورة الأنفال؛ الإبتلاء؛ الرحمة؛ طبيعة البشر؛ القوانين الإلهية.

المقدمة

يعدّ البحث في السنن الإلهية والتأصيل لها، من أهمّ وأقوى البحوث العلميّة التي تسعى-في محاولة جادة منها في النهوض- للبحث عن حقيقة انهيار الأمة الإسلامية، واكتشاف أسباب الضعف الذي طالت سنونه. وتكاد تتفق النتائج، على أنّ رأس هذه

(*) طالبة في مرحلة الدكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة 1، nabilislam27@yahoo.com

(**) أستاذ اللغة والدراسات القرآنية، جامعة باتنة 1، bouzidabdelhalim8@gmail.com

الأسباب هي ضعف العلاقة بين العبد وربّه، وبينه وبين التدبّر الأمثل للقرآن الكريم والذي من أهدافه: استخراج السنن الربّانية والتوصّل إلى القوانين التي تحكم الحياة. وهذه الدراسة مسعى من المساعي لإعادة بناء هاتين العلاقتين، والموسومة بـ "بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال."

الإشكالية: تسعى الدراسة إلى الإجابة على السؤال التالي:

- ما هي الآيات من سورة الأنفال التي تبرز العلاقة بين سنّة الابتلاء وطبيعة البشر؟

كما تجيب ثانيا على السؤال التالي:

- ما هو موضوع ومحاور سورة الأنفال محل الدراسة؟ وما هي السنن الأخرى التي تعرّضت لها؟

الهدف: تهدف الدراسة إلى التأسيس لسنّة الرحمة مع البلاء، من خلال سورة الأنفال. وهذه السنّة تُحقّق العلاقة المطّردة بين سنّة الابتلاء وطبيعة البشر في السعي إلى اجتناب كلّ ألم.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في أهمية معرفة سننه تعالى إجمالا، وفي أهمية هذه السنّة بالذات؛ إذ يمكن استثمار التعرّف عليها وملاحظتها في آحاد الصور، في دفع الحقد والضغينة من قلب المبتلى، مما يجلب الأمن والاستقرار في المجتمع. وكذا في تنمية الأخلاق الرفيعة التي يعلو بها الفرد عند مولاه: كالصبر والشكر والرضا، والإطمئنان والشعور بالمعّية الإلهية التي تورث الحب والخشوع والخضوع لله. والشعور بالرحمات الإلهية اليومية التي تصاحب المبتلى بالفقر مثلا خير دليل على ذلك. كما تظهر أهمية التفطن لوجود هذه السنّة في الجزئيات، في تجنّب ما يؤدي إليه إغفالها من كفران النعمة التي تستوجب العقاب.

المناهج المستعملة: اعتمدت هذه الدراسة منهجين أساسيين لتحقيق الهدف هما:

المنهج الوصفي: لوصف سورة الأنفال من حيث ترتيبها وعدد آياتها ومكان وزمان

وسبب نزولها وغيرها.

المنهج الاستنباطي: لاستنباط موضوع السورة وهدفها ومحاورها. ولإستخراج السنن

من مضامينها، واستنباط العلاقة بين بعضها وبين طبيعة البشر.

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي وأ.د. عبد الحلیم بوزید

الدراسات السابقة: حظيت السنن الإلهية والربانية بدراسات عديدة من خلال القرآن كَلَّه، ولكن تكاد تكون منعدمة من خلال سورة معينة. كما أنه لم تحظ سنة الرحمة مع البلاء - حسب اطلاعي - بدراسات وافية تُظهر أهميتها وأثرها في الحياة، وتصنيفها كسنة من سننه تعالى.

الخطوة: لبلوغ الغرض قسّمت الدراسة إلى ثلاثة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول: مدخل إلى سورة الأنفال.

الفرع الأول: اسم السورة وعدد آياتها ومكان نزولها. الفرع الثاني: ترتيبها وسبب نزولها. الفرع الثالث: محاور السورة وموضوعها وهدفها. الفرع الرابع: مقاطع وأجزاء السورة.

المطلب الثاني: مضان السنن الإلهية وضوابطها.

الفرع الأول: معنى السنة وما يدل عليه من خصائص. الفرع الثاني: مضان السنن الإلهية والربانية في القرآن الكريم. الفرع الثالث: ضوابط السنن الإلهية.

المطلب الثالث: السنن المستنبطة من السورة ومدى مراعاة بعضها لطبيعة البشر.

الفرع الأول: السنن المستنبطة من السورة. الفرع الثاني: سنن ربانية ومواقف بشرية وبينهما سنة الرحمة الإلهية. المجموعة الأولى من الآيات: [الآيات: 5-14]. المجموعة الثانية من الآيات: [الآيات: 42-44]. المجموعة الثالثة من الآيات: [الآيات: 61-66]. الخاتمة والتوصيات.

المطلب الأول: مدخل إلى سورة الأنفال.

الفرع الأول: اسم السورة وعدد آياتها ومكان نزولها.

سورة الأنفال خمس وسبعون آية في عد الكوفي، وست في عد المكي والمدني والبصري وعطاء، وسبع في عد الشامي.¹

وهي "مدنية آياتها سبعون وست آيات، كلماتها ألف وستمئة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة، حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفاً".² وعدد آياتها في المصاحف المتداولة خمس وسبعون آية، سواء المصاحف على رواية ورش أو على رواية حفص، أي: على

عد الكوفي.

وجاء في الناسخ والمنسوخ للنحاس (338هـ) عن ابن عباس أن سورة الأنفال مدنية.³
وأخرج البخاري (256هـ) في صحيحه عن سعيد بن جبيرة قال: "قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
الله عَنْهُمَا: سُورَةُ الْأَنْفَالِ، قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ".⁴
واحتج السيوطي (911هـ) بهذا الحديث للقول بأن "سورة بدر" اسم آخر "لسورة
الأنفال".⁵

فسورة الأنفال تسمى أيضا بـ "سورة بدر".

قال القرطبي (671هـ): "الأنفال مدنية بدرية في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء".⁶
و"قَدْ اتَّفَقَ رِجَالُ الْأَثَرِ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ أَنْزَلَتْ فِي أَمْرِ
بَدْرٍ سُورَةُ الْأَنْفَالِ بِأَسْرِهَا، وَكَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ مِنَ الْعَامِ الثَّانِي لِلْهِجْرَةِ بَعْدَ عَامٍ
وَرَنْصَفٍ مِنْ يَوْمِ الْهِجْرَةِ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ بِشَهْرَيْنِ، وَكَانَ ابْتِدَاءُ نُزُولِهَا قَبْلَ الْإِنْصِرَافِ
مِنْ بَدْرٍ، فَإِنَّ الْأَيَّةَ الْأُولَى مِنْهَا نَزَلَتْ وَالْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ قَبْلَ قِسْمَةِ مَعَانِيهَا، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ
حَدِيثُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا اسْتَمَرَ نُزُولُهَا إِلَى مَا بَعْدَ الْإِنْصِرَافِ مِنْ بَدْرٍ".⁷

الفرع الثاني: ترتيبها وسبب نزولها.

عدت سورة الأنفال السورة السابعة والثمانين في عداد نزول سور القرآن، ونزلت بعد
سورة البقرة، وقبل سورة آل عمران وسورة الأحزاب.⁸ وهي السورة الثامنة حسب الترتيب
المصحفي؛ بعد سورة الفاتحة وأربع سور مدنيات وبعد سورتين مكيتين: الأنعام والأعراف.
و"لا خلاف في هذه السورة أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائه".⁹ وكان نزولها بسبب
اختلاف أهل بدر في غنائم يوم بدر وأنفاله، وقيل: بسبب ما سأله بعض الغزاة النبي ﷺ
أن يعطيهم من الأنفال.¹⁰ فقد أخرج الطبري (310هـ) في تفسيره عن مكحول، عن أبي أمامة
الباهلي قال: "سَأَلْتُ عِبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ عَنْ "الْأَنْفَالِ"، فَقَالَ: فِينَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ بَدْرٍ
نَزَلَتْ، حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ، وَسَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَنَزَعَهُ اللهُ مِنْ أَيْدِينَا، فَجَعَلَهُ إِلَى رَسُولِ
الله ﷺ، وَقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَا مُسْلِمِينَ عَنْ بَوَاءٍ يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ".¹¹

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي و أ.د. عبد الحليم بوزيد

الفرع الثالث: محاور السورة وموضوعها وهدفها.

جاءت سورة الأنفال تعالج بعض النواحي الحربية التي ظهرت إثر بعض الغزوات.¹² وتشتمل هذه السورة على أعمال من أجل ما قام في الإسلام؛ ففيها كان يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، وهذا اللقاء كان الفرق بين عزة الحق وذلة الباطل، وفيها تشريع الأنفال والغنائم، وفيها حكم الأسرى، ومتى يكون الأسر، وفيها إعداد العدة، وفيها الوفاء بالعهد ومتى ينقض.¹³

ومن الملاحظ على سورة الأنفال أن ما قيل فيها في ما يتعلق بالحرب والغزوات غير مقصود لذاته، وإنما جاء لخدمة سنة التمكين في الأرض ودوامه؛ ذلك أن التمكين ممكن إذا فقد أحد شروطه، ولكن لن يتصف بصفة الدوام، خاصة إذا فقد شرط الإيمان الذي جاءت سورة الأنفال لترتكز عليه وتعالجه في أرقى درجاته، وهو الإستسلام الكامل لأمر الله. ويؤيد ذلك ما قاله الإمام البقاعي (885هـ) في موضوع هذه السورة: "مقصد هذه السورة تبرؤ العباد من الحول والقوة، وحثهم على التسليم لأمر الله المثير لاجتماع الكلمة المثير لنصر الدين وإذلال المفسدين المنتج لكل خير".¹⁴ ويعني البقاعي بـ "مقصد السورة" موضوعها في الأغلب.

ويؤيده كذلك ما قاله صاحب المنار: "... وَكَرَاهَةٌ فَرِيقٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِحُرُوجِهِ، خِلَافًا لِمَا يَفْتَضِيهِ الْإِيمَانُ مِنَ الْأَذْعَانِ لِبَطَاعَتِهِ، وَالرَّضَا بِمَا يَفْعَلُهُ بِأَمْرِ رَبِّهِ، وَمَا يَحْكُمُ أَوْ يَأْمُرُ بِهِ، كَمَا عَلِمَ مِنَ الشَّرْطِ فِي الْآيَةِ الْأُولَى "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" وَلَعَلَّ بَيَانَ هَذَا الشَّرْطِ، وَمَا وَلِيَهُ مِنْ بَيَانِ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِينَ حَقَّ الْإِيمَانِ هُوَ أَهَمُّ مَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى كَثْرَةِ أَحْكَامِهَا وَحِكْمِهَا وَفَوَائِدِهَا الرُّوحِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْحَرْبِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ".¹⁵

ولعل هذا ما دفع الشيخ الغزالي إلى القول في آخر تفسيره لهذه السورة: "إنه لا حل لمشكلاتنا إلا بإعادة الإيمان إلى مكانته في أوضاعنا المحلية والعالمية على سواء...".¹⁶ كما يستتج من كلام البقاعي **هدف** ومقصد سورة الأنفال وهو: اجتماع الكلمة، ونصر الدين، وإذلال المشركين والمفسدين، وبالتالي التمكين للإسلام والمسلمين.

وكانت معركة بدر الكبرى، الجو الذي نزلت فيه السورة. وهو مجال تطبيقي وواقعي

مناسب لتحقيق هذا الهدف، وبيان أهم المسائل الحربية والأحكام الخاصة بها. وتعتبر السورة كوثيقة تعالج القانون الدولي العام والخاص والقانون الداخلي في زمن الحرب. يقول صاحب الظلال: "وكانت هذه إشارة لتقرير حقيقة كبيرة... إن الحق لا يحق، وإن الباطل لا يبطل - في المجتمع الإنساني - بمجرد البيان «النظري» للحق والباطل. ولا بمجرد الاعتقاد «النظري»... وذلك لا يتم إلا بأن يغلب جند الحق ويظهروا، ويهزم جند الباطل ويندحروا".¹⁷

فمحاور السورة بذلك: "العوامل والأسباب التي ينبغي أن تبلغ فيهم كماها ليوصلوا مسيرة الإيمان، ويحققوا الظفر في معارك المستقبل".¹⁸ أي: العناصر المعنوية والمادية للنصر والتمكين، وأساسها الركائز المعنوية الإيمانية المشبعة بالتوكل والتقوى والثقة بالله. ودليله انتصار المسلمين - بعد بذل الوسع - في بدر رغم قلة العدد والعدة. ودليله أيضا قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (46) وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (65)؛ فلا عبرة بالعدد إذا توفر الإيمان مع الصبر.

الفرع الرابع: مقاطع وأجزاء السورة.

تنقسم السورة إلى مقدمة وخاتمة وثلاث مقاطع:¹⁹

ف نجد المقدمة [1-4] تتحدث عن الحقائق الإيمانية الدافعة والموصلة إلى الكمال، وهي حقائق تتعلق بتوحيد الألوهية.

ويعتبر المقطع الأول [5-14] بمثابة التحقق من وجود هذه المعاني لدى المؤمنين من عدمه وذلك بذكر وقائع تسبق المعركة. وبيّنت أنّ التخطيط كان إلهياً بحتاً، وأنّه ليس لهم من الأمر من شيء، كما بيّنت الحكمة من ذلك، مما يستدعي الإستسلام لأمره تعالى. أما المقطع الثاني [15-38] فهو عبارة عن نداءات خمس للمؤمنين تحلّل الشروط الأساسية واللازمة للنصر. وفيها وجوب الثقة بهذه الشروط والعمل بها؛ لأنّها من كُدن العليم الحكيم الذي خطّط للمعركة من بدايتها؛ من دون حول من المؤمنين ولا قوّة.

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي و أ.د. عبد الحلیم بوزید

ثم يرسم المقطع الثالث [39-71] أسس المعاملة مع العدو وحسن التدبير والإعداد للمعركة.

وأخيرا تأتي الخاتمة [72-75] للحديث عن كيان الأمة المكلفة بتنفيذ هذه السياسة الجهادية، والروابط التي تؤلف بين فئاتها، وترجع في معناها إلى إصلاح ذات البين المذكور في المقدمة.

والملاحظ من خلال ما ورد في محتوى المقاطع، اعتماد السورة على أمر واقعي وميداني؛ لإبراز العلم الإلهي المطلق، وبيان قهره الناتج عن قدرته التامة والنافذة والمحركة للأحداث، دون حول من الإنسان ولا قوة، المؤكدة لضعف المخلوق والميَّنة لحقيقة قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ الآية [سورة البقرة: الآية 117] وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ الآية [سورة النساء: الآية 28] مما يستدعي الاستسلام لأمره تعالى والتخلي عن حظوظ النفس. ولا يخلو مقطع من مقاطع السورة من آيات تُظهر هذا المعنى بمظاهر مختلفة.

وفي نفس المضمار يقول أحد الباحثين: "فأيتها نص تفحصناه في سورة الأنفال والقرآن، لتتعرف الموارد التي يصوغ منها معانيه ومبانيه، وجدنا هذه الموارد من معطيات واقعية: من الإنسان أو الطبيعة أو الكون، من الماضي والحاضر، من الفرد والجماعة والأمم... ويضيف القرآن عنصرا آخر غير مرئي، لكنّه ذو أثر ومصداقية في الأحداث الكونية، ومصائر الأفراد والأمم وأحوال الخلق: إنّه العنصر الغيبي، الذي له الدور الأوّل في التخطيط والتوجيه".²⁰ وتلخيصا لما سبق؛ فسورة الأنفال تهدف إلى اجتماع الكلمة لنصر الدين وإذلال المفسدين. وكان الإيمان من جهة الاستسلام لأمر الله، موضوعا لها. وهو ما نجده رابطا بين أجزاءها المتمثلة في مقدمة وثلاث مقاطع وخاتمة. وجاءت محاورها المتعلقة بغزوة بدر وأحكام الحرب: من الأمر بالجهاد، وحرمة التوليّ يوم الزحف، وأحكام الأسرى وغيرها، مبثوثة داخل هذه المقاطع.

المطلب الثاني: مضان السنن الإلهية وضوابطها.

لما جاءت سورة الأنفال للحديث عن سنّة التمكين وسنّة التدافع؛ دفاع الباطل بالحق والكثير من السنن الأخرى، كان من الضروري أن يتحدّث هذا المطلب، عن معنى السنّة

ومضائها في القرآن، ومتى نحكم على أمر ما أنه سنة.

الفرع الأول: معنى السنة وما يدل عليه من خصائص.

السنة في اللغة: قال ابن فارس: "السين والنون أصلٌ واحد مطّرد، وهو جريان الشيء واطّرادُه في سهولة، والأصل قولهم سنّنتُ الماءَ على وجهي أسنّته. ومما اشتقّ منه السنّة، وهي السّيرة. وسنّته رسول الله عليه السلام: سيرته".²¹ فالسنّة تأتي بمعنى: جريان الشيء وتعميمه، وبمعنى السيرة التي لا تتبدّل.

وسنة الله "قد يقال لطريقة حكمته، وطريق طاعته".²² فهي بمعنى الطريقة أيضا.

وقد جمع ابن منظور (711هـ) أصولا ومعاني كثيرة للفظ السنة إذ يقول: "وسنة الله: أحكامه وأمره ونهيّه... وسنّها الله للنّاس: بيّنها. وسنّ الله سنة أي بيّن طريقاً قوياً... والسنة: السّيرة، حسنة كانت أو قبيحة... وكل من ابتداً أمراً عملاً به قومٌ بعده قيل: هو الذي سنّه... والأصل فيه الطريقة والسيرة... السنة الطريقة المحمودة المستقيمة... والسنة: الطبيعة... والسنة في الأصل سنة الطريق، وهو طريق سنّه أوائل الناس فصار مسلكاً لمن بعدهم".²³ والذي يهم الدراسة من هذه المعاني: أحكامه تعالى، وطريقه القويم، والسيرة حسنة كانت أو قبيحة، والطريق المسنون الذي صار مسلكاً للمتأخر.

السنة في الاصطلاح: يقول الإمام الرازي (606هـ): "وأما السنة فهي الطريقة المستقيمة والمثال المتبع... والعرب شَبّهت الطريقة المستقيمة بالماء المصّبوب فإنه لتوالي أجزاء الماء فيه على نهج واحد يكون كالثيء الواحد".²⁴ وهذا إبراز للعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي. وقوله "المثال المتبع" هو من أقرب المعاني الإصلاحية لمعنى السنة الآن.

كما فسّر كثير من العلماء "سنة الله" حيثما وردت في القرآن بعبادته في خلقه، فابن تيمية (728هـ) يقول: "عادته التي يسوي فيها بين الشيء وبين نظيره الماضي، وهذا يقتضي أنه سبحانه يحكم في الأمور المتماثلة بأحكام متماثلة".²⁵ ويقول في موضع آخر: "ولا يسوي بين شيئين غير متماثلين؛ بل إن كانا مختلفين متضادين لم يسوي بينهما... ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار".²⁶ ويُفهم من هذا خاصية الشمول والإطراد للسنن.

والسنة أيضا "اسم للطريقة المرضية المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب..."

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي وأ.د. عبد الحلیم بوزید

وَالسَّنَّةُ: الْأُمَّةُ".²⁷

وبناء على هذه المعاني اختار أحد الباحثين أنّها: "الطريقة المتبعة في معاملة الله للبشر بناءً على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله، وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة".²⁸

أو هي: "القوانين الحاكمة قدرا في العباد، التي تجري باطراد وثبات وعموم، في حياة البشر".²⁹ والظاهر أنّ هذا التعريف نجح في التعبير عن حتمية الفعل الإلهي بكلمة "القوانين"، وكذا قوله "قدرا". ومنع دخول معاملة الله للبشر التي لا تتسم بالاطراد والثبات والعموم. ومتعلّق الحتمية، هي الأسباب أو الجزاء على السبب الكسبي، مثال الأول: حتمية الإبتلاء، ومثال الثاني: حتمية الجزاء على الصبر وعدمه الذي هو تصرف إنساني كسبي. ومن حتمية السبب في الأولى واطراده، وحتمية النتيجة في الثانية واطرادها يأتي معنى القانون والسنة، أما الثبات والعموم فيأتیان تبعا.

وأضاف بعض الباحثين خاصية العدل والحكمة؛ إذ يقول أحدهم: "فمن خصائص السنن الإلهية أنها ثابتة؛ لا تتحوّل ولا تتبدّل، شاملة عامّة، نافذة، قاهرة، قائمة على عدل الله وحكمته".³⁰

وبذلك يمكن القول أنّ السنن الإلهية والربانية هي: القوانين الحاكمة قدرا في تصرفات البشر، سواء أكان سببها قهري أو كسبي، والتي تجري باطراد وثبات وعموم وقائمة على العدل والحكمة. ويقصد بها كان سببها قهري ما كان من الله ابتداء: كالابتلاء، وعُبر عنها في البحث ب: السنة القهرية. أما السبب الكسبي فهو ما كان سببه من الإنسان ابتداء: كالذنوب.

الفرع الثاني: مضان السنن الإلهية والربانية في القرآن الكريم.

إنّ السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات، أشبه ما تكون بالقوانين التي تحكم المادة؛ ليعتبر أولوا الأبصار. وكان الأساس في هذه المعطيات أنّ التماثل في الأسباب يقتضى التماثل في المسببات؛ إذ أنّ حقيقة الاستدلال بسنّته تعالى وفعله المطرّد هو: -اعتبار الشيء بنظيره. - والتسوية بين المتماثلين. - والتفريق بين المختلفين، وهو الاعتبار المأمور به في القرآن.³¹

يقول ابن تيمية (728هـ): "ومن هذا الباب، صارت قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا

القياس واطراد فعله وسننه، لم يصح الإعتبار بها. والإعتبار يكون، إذا كان حكم الشيء حكم نظيره: كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة جدا".³²
 من كلام ابن تيمية السابق وكلام بعض الباحثين،³³ نستنتج أنّ من أغزر موارد السنن الإلهية في القرآن هي:

- القصص القرآني عن نهوض الأمم والحضارات وسقوطها.
- والأمثال القرآنية المتعلقة بكيفية معاملة الله البشر بناء على سلوكهم وتصرفاتهم.
- والآيات الوارد فيها ربط الأسباب بالمسببات والمقدمات بالنتائج فيما يخص نظام الحياة الذي وضعه الله بحكمته في معاملته للبشر، أو في معاملة البشر لبعضهم البعض.
- وتشتمل سورة الأنفال على النوع الثالث منها؛ إذ تحتوي على الآيات الوارد فيها ربط الأسباب بالمسببات؛ ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُطْلِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة الأنفال: الآية 8] وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: الآية 13] وغيرها من الآيات.
- أما الأمثال والقصص فتمثلت في قصة آل فرعون وكانت في آيتين فقط.

الفرع الثالث: ضوابط السنن الإلهية.

إنّ تتبّع واستقراء الآيات القرآنية، مكّن الكثير من الباحثين إحصاء بعض الضوابط التي تمكّن من التفريق بين كون الأمر سنّة من عدمه، وتتلخّص في أمرين أساسيين هما:
الأمر الأول: أن ترد لفظة "سنّة" أو مشتقاتها بعد تقرير حكم أو قبله، أو في سياق تقرير نتائج متعلّقة بالسلوك البشري والتصرّف الإنساني. **الأمر الثاني:** اطراد فعل الله، والإطراد مبني على التكرار وإعطاء النظير حكم نظيره، وهذا الأمر يعرف بالضوابط اللفظية والتراكيب الأسلوبية. ويشترط في ذلك تحقّق طرفا السنّة وهما: صورة مقدّمة من البشر ونتيجة من الله عز وجل.³⁴ وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا الشرط وإن تحقّق في معظم السنن إلا أنّه لا يتحقّق في بعضها؛ فالابتلاء سنّة دون نكير إلا أنّه من الله ابتداء ونتيجة من البشر. ويمجمل عبد الكريم زيدان هذين الأمرين في قوله: "قد نخبرنا عن ذلك بغير لفظ السنّة؛ كأن يعبر عن سنته، بتقرير نتيجة معينة بناء على وصف معين أو حالة معينة، أو بناء على سبب

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي وأ.د. عبد الحليم بوزيد

- أو شرط معينين، فيكون هذا الإخبار بهذه الصيغ إخباراً عن سنّة ثابتة لله تعالى".³⁵
 أما الضوابط اللفظية والتراكيب الأسلوبية فأبرزها ما يلي:
- 1/ ورود فعل الله مع التعليل، في سياق الآيات التي وردت في وضع نظام الحياة والأحياء، والإعتبار-بالأمم السابقة. وترد آيات هذا الضابط مقيّدة بأحد أمرين:
 2/ التعليل بحرف "اللام".
 - 3/ التعليل بالسبب: وحروف السببية متعددة: منها "الباء" و"الفاء" وإنّ المشدّدة، وهو نوع من التأكيد.
 - 4/ ورود فعل الله في سياق جملة الشرط وترتّب الجزاء من الله على الفعل البشري، وامتناعه بسبب ذلك الفعل. والآيات الدالّة على هذا الضابط تأتي على وجهين:
 الأول: وقوع الجزاء لوقوع الفعل.
 الثاني: امتناع الجزاء لوجود الفعل.
- ويدخل في أسلوب الشرط الجمل المشتملة على اسم "لما" الداخلة على الماضي ويشترط أن يكون الفعل بعدها شرطاً في تحقيق الفعل الآخر.
- 1- ورود فعل الله عز وجل أو امتناعه منوطاً بحال أو غاية أو صفة. وغالبا ما تتصدّر الجمل الواردة بآيات هذا الضابط بنفي أو "كون" منفي، أو لفظة "كم"، أو "كأين".
 - 2- ورود لفظة "كذلك" أو "وكذلك" في سياق قصّة أو حكم من الله عز وجل. ويستقي هذا الضابط ثبوته من معنى المشابهة الموجودة في هذه اللفظة، مما يفيد التكرار.
 - 3- ورود فعل الله تعالى بصيغة المضارع. والفعل المضارع يدلّ على الاستمرار والتكرار.
 - 4- ورود فعل الله مؤكّد "باللام والنون".

المطلب الثالث: السنن المستنبطة من السورة

ومدى مراعاة بعضها لطبيعة البشر.

بعد عرض معنى السنّة وضوابطها، تأتي الدراسة إلى ذكر آيات السورة الدالّة على بعض سنن الله، ووجه دلالتها. ثم تتّجه إلى الآيات التي تتحدّث عن السنن القهرية، لملاحظة ما إذا ابتلى الله تعالى بها فرداً أو جماعة هل من سنّته أن يُحدث ما يخفّف عنهم جهدها؟

الفرع الأول: السنن المستنبطة من السورة.

تذكر سورة الأنفال بعض سنن الله في الأفراد والجماعات، والآيات التي تحتوي على ذلك

هي:

- قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (8).

إن إحقاق الحق وإبطال الباطل سنة من السنن التي تندرج تحت سنة التدافع. فقد تمنى المسلمون الظفر بالقافلة؛ لكراهة النفس القتال بطبعها، ولعدم توفر عوامل النصر المادية. ولكن الله يريد أن يقطع دابر الكافرين ليحق الحق؛ بعبادة الله وحده دون الآلهة والأصنام ويعز الإسلام، ويبطل عبادة الآلهة والأوثان والكفر، ولو كره ذلك الذين أجزموا.³⁶ وضابط هذه السنة، أن فعله تعالى جاء معللاً بـ"لام" التعليل في سياق آيات وردت في وضع نظام الحياة.

- وقوله عز جل: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ

عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (10).

ومعناها: "وما تنصرون على عدوكم، أيها المؤمنون، إلا أن ينصركم الله عليهم، لا بشدة بأسكم وقواكم، بل بنصر الله لكم، لأن ذلك بيده وإليه، ينصر من يشاء من خلقه".³⁷ فالسنة الإلهية التي بينتها هذه الآية، هي سنة النصر للمؤمنين وما يندرج تحتها من كونها بيد الله وحده. وضابطها ورود فعل الله مؤكداً بـ"ما" و"إلا". ومؤكداً الأمر مرة أخرى بكون الله عزيز؛ نافذ أمره، وحكيم؛ في نصر من شاء متى شاء، وذلك بحرف التوكيد "إن". وما انهمز المسلمين في بداية إحدى المعارك لما أعجبته أنفسهم، إلا تأويل وتحقيق لهذا المعنى. يقول البقاعي (885هـ): "...كان المقام مقتضياً لإثبات عزة الله وحكمته على سبيل التأكيد إعلاماً بأن صفات الكمال ثابتة له دائماً، فهو ينصر من صبر وانتقى بعزته، ويحكم أمره على أتم وجه بحكمته، هذا فعلة دائماً كما فعل في هذه الغزوة... فلا يستطيع أحد نقض شيء منه، هذا له دائماً، فهو يفعل في نصركم هكذا مهما استأنستم".³⁸

- وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾ (13).

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي وأ.د. عبد الحلیم بوزید

بيّنت هذه الآية أنّ مشاقّة الله والرسول هو سبب انهزام المشركين وأمر الله الملائكة أو المؤمنين أن يضربوهم فوق الأعناق. وما يجعل هذا الأمر سنّة؛ ورود فعل الله في سياق جملة الشرط المبدوءة بـ "مَنْ" التي تفيد الاستغراق وجوابها المؤكّد بـ "فإنّ"، وورود فعل "شاقّ" بصيغة المضارع الذي يفيد الاستمرار والتكرار. يقول البقاعي: "ثم بيّن ما الفاعل ذلك، فقال عاطفاً على تقديره: فمن شاق الله ورسوله فافعلوا به ذلك، فإني فاعل به ما فعلت بهؤلاء" ³⁹ فكلمها ووجدت المشاقّة ووجد العقاب الشديد.

- وقوله سبحانه: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)﴾.

أي: إن تستنصروا وتستقضوا الله وتستحكموه أيها المشركين أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين، فقد جاءكم ما سألتهم. ⁴⁰ وإن تعودوا لمحاربة الرسول والمسلمين يفعل الله بكم ما فعله يوم بدر، ولن يمنع ذلك كثرة فتنكم. ثم يؤكّد بالأداة "أَنَّ" أن الله مع المؤمنين دائماً بتأييده ونصره، وهذا التأكيد يدلّ على سنّيتها. كما أنّ من سنّته، ألا تغني لا الفتن ولا الكثرة ولا القوّة عن الإنسان شيء؛ فالله إذا أراد أمراً، فإنّه يحرك الأحداث بحكمة ولطف وبما لا يدخل في الحسبان، إنّه لطيف خبير قوي عزيز. أي: فليعتبر أولوا الأبصار ولا يظنوا أنهم منعتهم حصونهم من الله.

- وقوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (25)﴾.

تقرّر هذه الآية أنّه إذا عمّ الفساد في الأمة المسلمة، أصاب العقاب الجميع، ويحشر كلّ على حسب نيّته. ⁴¹ فهذه من سنّته تعالى التي تدرج ضمن سنّة "العقاب بالذنوب"؛ لكون فعلها المضارع "تُصِيبَنَّ" الذي يفيد التكرار والدوام مؤكّد بحرف "النون". وأكد الأمر مرّة أخرى بكونه شديد العقاب، بأحد أفعال البقين وهو الفعل "علم" وأداة التوكيد "إنّ".

- وأيضا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)﴾.

إنّ المؤمن إذا التزم التقوى، جعل الله قلبه مملوء بالنور الإلهي الذي يمكنه من التفريق

بين الحق والباطل والهدى والضلال، ويمحو ذنوبه ويسترها، وينصره.⁴² ففعل الله هنا سنة فهو مشروطٌ بالتقوى الدائمة التي يدلّ عليها الفعل المضارع "تتقوا" وأداة الشرط "إن".

- وقوله سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (39) وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿40﴾.

تبيّن الآيات المقصد الأول من الجهاد؛ فهي تأمر المسلمين أن "يقاتلوا المشركين حتى لا يكون شرك في الأرض، ولا يُعبد إلا الله وحده لا شريك له؛ وحتى يرتفع البلاء عن عباد الله".⁴³ ثم ترفع من عزيمة وهمم المؤمنين؛ إذ تبشّرهم بالمعية الدائمة والولاء والتّصر، إن أصرّ المشركون على الكفر والقتال، وذلك بأحد أفعال اليقين وهو الفعل "عَلِمَ" وأداة التوكيد "أَنَّ"، مما يفيد تحقّق الفعل الإلهي من نصر وولاء، كلّما كان القتال من أجل إعلاء كلمة الله. وعلى المسلمين في الزمن الحالي أن يستثمروا هذه السنن لصالحهم، وأن يعملوا بمقتضاها.

- وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَانْتَبِهُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (45) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿46﴾.

تنبّه الآيات المؤمنين إلى أسباب النّصر، من الثبات والذكر الكثير، وهما يتعلّقان بالفرد المؤمن المحارب؛ لذلك دُيلاً بالفلاح. وثنّت بالأمر بطاعة الله ورسوله ومنع التنازع وربّبت عنه الفشل والإنهزام الحتمي بحرف "الفاء"، وهذان السببان يتعلّقان بجاعة المحاربين. ثم تؤكّد الآيات على سبب الصبر بأداة التوكيد "إِنَّ"؛ إذ أنّ الله مع الصابرين دائماً، وهذا السبب يجوي الأسباب الأخرى ويغذيها.⁴⁴ فالذي يمكن تأكيده في مجال السنن من خلال هذه الآيات، هو أنّ التنازع يترتب عنه الفشل بصفة مطّردة ممّا يجعله سنة، وكذلك أطراد وجود النّصر مع الصبر، ممّا يجعله سنة أيضاً.

- وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (49).

استهزأ المنافقون والذين في قلوبهم مرض بالمؤمنين، لثقتهم الزائدة بالنصر رغم قلّة

أسبابه؛ فاتهموهم بالإغترار بالدين. ولكن الله يؤكد هذه الثقة، ويزيد المؤمنين سببا معنويا آخر للنصر وهو التوكّل على الله بعد بذل الجهد في تسخير العوامل المادّية، "فَمَنْ تَمَسَّكَ بِالْأَعْتَادِ عَلَيْهِ نَصْرُهُ، وَهُوَ حَكِيمٌ يُكُونُ أَسْبَابَ النَّصْرِ مِنْ حَيْثُ يَجْهَلُهَا الْبَشَرُ".⁴⁵ وهذه السنّة تدرج تحت سنّة إحقاق الحق وإبطال الباطل التي تدرج بدورها تحت سنّة التدافع، يقول صاحب المنار: "وَتَوَكَّلْهُمْ عَلَيْهِ: يَكْفِيهِمْ مَا أَهَمَّهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، وَإِنْ كَثُرَ عَدُوُّهُمْ، وَعَظُمَ اسْتِعْدَادُهُمْ؛ لِأَنَّهُ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، حَكِيمٌ يُصْعِقُ كُلَّ أَمْرٍ فِي مَوْضِعِهِ عَلَى مَا جَرَى عَلَيْهِ النَّظَامُ وَالتَّقْدِيرُ فِي سُنَّتِهِ، وَمِنْهُ نَصْرُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ".⁴⁶ وما يجعل الأمر سنّة هنا؛ ورود الفعل الإلهي في سياق جملة الشرط؛ بصيغة "من... فإن".

- وأيضا قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (51) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (52) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (53) كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ (54)﴾.

تصوّر الآية الأولى قبض الملائكة لأرواح الكفرة، منذرة إياهم بعذاب النار. وتخبرهم الآية بعدها أنّ "هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا، [والله]... لا يظلم أحد من خلقه، بل هو الحكم العدل، الذي لا يجور"،⁴⁷ فبينت أنّ سبب هذا الهوان هي أعمالهم وتصرفاتهم الكسبيّة، مستعملة الصيغة "ذلك بما". فهو إخبار من الله عن أمر مستقبلي حتمي الوقوع ترتّب عن ذنوب الكافرين، وأكّد وقوعه بـ "أنّ" وبنفي صفة الظلم عنه سبحانه بصيغة "فعل".

ثم تضرب الآية الموالية المثل بقوم فرعون الذين أخذوا بذنوبهم؛ يقول الرازي (606هـ): "لَمَّا بَيَّنَّ مَا أَنْزَلَهُ بِأَهْلِ بَدْرٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَاجِلًا وَآجِلًا... أَتْبَعَهُ بِأَنَّ بَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَتُهُ وَسُنَّتُهُ فِي الْكُلِّ. فَقَالَ: كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالْمَعْنَى: عَادَةٌ هُوَ لَاءٌ فِي كُفْرِهِمْ كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ فِي كُفْرِهِمْ. فَجُوزِي هُوَ لَاءٌ بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ كَمَا جُوزِي أَوْلِيكَ بِالْإِعْرَاقِ وَأَصْلُ الدَّأْبِ

في اللُّغَةِ إِدَامَةُ الْعَمَلِ".⁴⁸ وأكد الله هذه السنّة مرّة أخرى بكونه قوي، شديد العقاب بأداة التوكيد "إن".

أما الآية (53) فتبيّن أنّ الله لا يمنع الناس النعم إلّا لما يغيّروا ما بأنفسهم ويصروا على الكفر. وفعل ذلك بالمشركين، "بأنهم غيّرُوا ما أنعم الله عليهم به من ابتعائه رسوله منهم وبين أظهرهم، بإخراجهم إياهم نبيّهم، وتكذيبهم له".⁴⁹ وصاغ هذه السنّة بما يفيد العموم والشمول وبأسلوب التعليل، وورد فعل الله فيها منوطاً بغاية، حيث تصدرّ بـ "كونٍ منفي" والأداة "حتى"، بالإضافة إلى أنّ "لَمْ يَكُ مُغَيَّرًا" مُؤْذِنٌ بِأَنَّهُ سُنَّةُ اللَّهِ وَمُقْتَضَى حِكْمَتِهِ، لِأَنَّ نَفْيَ الْكُفُونِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ يَفْتَضِي تَجَدُّدَ النَّفْيِ وَمَنْفِيَّةً".⁵⁰ ودُيِّلَتِ الآية بتأكيد السمع والبصر لله تعالى لتفيد أنّ لا مفر، وأنّه ستتغيّر النعمة حتّى إذا وُجد السبب.

ثمّ ضرب تعالى المثل مرة أخرى بهلاك آل فرعون وأمم أخرى بذنوبهم، وإنّ تنوّعت أساليب الهلاك؛ ليخبر أنّ ما حدث لمكذّبي قريش يوم بدر قد حدث لمن قبلهم بجامع الظلم في كلّ. و"قوله: "كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ" الآية... هو لمعنى ليس للأول، إذ الأول دأب في أن هلكوا لما كفروا، وهذا الثاني دأب في أن لم تغيّر نعمتهم حتى غيروا ما بأنفسهم".⁵¹ إنهما سنّتان ربّانيتان اجتماعيتان وُصِفَ لبيانها، أسلوب التعليل والشرط والتوكيد وضرب الأمثال، وتقرير صفتي السمع والبصر لله ونفي الظلم عنه؛ إبعاداً لكلّ شبهة عن ربّانيّتها، وحتْميّتها، واطّرادهما وعمومهما، وثباتها.

الفرع الثاني: سنن ربانية ومواقف بشرية وبينها سنّة الرحمة الإلهية.

ذكرت السورة بعض السنن، وبيّنت موقف المؤمنين منها باعتبار طبيعتهم البشريّة. فهل عطّل الله هذه القوانين بسبب ضعف الإنسان؟ أم أمضاها رغم ذلك؟ أم أمضاها برحمة سبقتها وثانية صجبتّها وأخرى تبيعتها؟

بعد استقراء آيات السورة تجلّت ثلاث مجموعات منها تبرز هذا المعنى، سيتم ذكر كل مجموعة على حده، وتحليلها بما يتناسب والموضوع؛ ليُتوصّل إلى الإجابة الصحيحة.

المجموعة الأولى من الآيات:

قال الله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ (5)

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي وأ.د. عبد الحليم بوزيد

يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (6) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّ لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (13) ذَلِكَمُ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ (14) ﴿ [سورة الأنفال: الآيات 5-14].

جاءت هذه الآيات في سياق الحديث عن اعتراض المسلمين عن قسمة الرسول ﷺ للأنفال، فأخبر الله تعالى أنها قسمة حق وفيها الخير وعلى المسلمين أن يرضوا بها ويصلحوا ذات بينهم. وأنها مثل انتصارهم يوم بدر ورفع شأنهم بين قبائل العرب، وقد كانوا كارهين للخروج. وذكرهم بما حدث في ذلك اليوم، وكيف أخرجهم الرسول قهرا من ديارهم للجهاد بالحق لقيام الدواعي إليه. ولكن بعض المؤمنين كرهوا ذلك؛ لثقل الحرب على النفس ولعدم تكافؤ أطرافها في العدد والعدة. فأخذوا يجادلون الرسول ﷺ في أمر الخروج لعله يملك تغيير القرار. ولكن دون جدوى؛ فهو حكم إلهي بتخطيط إلهي. وذكرهم أنه لما عداهم إحدى الطائفتين وهما العير أو النفير، كان موقفهم أنهم تمنوا العير. وأخبر تعالى أنه لما كان من سنته إحقاق الحق وإبطال الباطل واختار للمؤمنين النفير.⁵²

ثم ذكرهم أنهم في ذلك اليوم، دعوا ربهم كثيرا واستغاثوا به -كناية عن دعاء الرسول ﷺ- فاستجاب لهم بما لم يخطر على بالهم وهو إمدادهم بألف من الملائكة، مراعاة لطبيعة البشر؛ إذ يطمئنون أكثر للأمر الحسية المشاهدة. ثم علمهم حقيقة أزلية وهي أن النصر بيده وحده، وأن ما عدا ذلك فهي أسباب قد يكون النصر بدونها، إذا بذل الإنسان جهده. ويذكر الله أيضا عباده المؤمنين من أهل بدر برحمة أخرى من رحماته، وهي النعاس

وإنزال المطر. ولم يكتف بذكر التعمتين، بل بيّن آثارهما وهو تطهيرهم وإذهاب رجز الشيطان عنهم، وليربط على قلوبهم ويثبت أقدامهم. ولا أحسب المؤمنين حين سمعوا هذه الآيات، إلا أنهم طأطؤوا رؤوسهم خجلاً أمام حقيقة هذه الأحداث وسجدوا شكراً لله على النعمة التي لم يحيطوا بكل جوانبها حين وقعت؛ لذلك ذكّرهم الله بها. ويمنّ عليهم مرة أخرى بإعلامهم بما أوحى إلى الملائكة في ذلك اليوم العظيم؛ فقد أوحى إليهم بأنّه معهم وأمرهم بتثبيت المؤمنين، وأنّه سوف يلقي في قلوب المشركين الرعب برؤية تعداد المسلمين يزداد. ثم بيّن تعالى سنّته في من يشاقق الله ورسوله، وهي العقاب الشديد بكل أنواع النكال، مهما طال الزمن، وأنّ عذاب النار جزاء الكافرين حتماً ما لم يتوبوا.⁵³

فتحليل الآيات يثبت الإجابة الثالثة؛ فالله لم يعطل سنّة إحقاق الحقّ وإبطال الباطل لما حان أجلها، ولا عقوبة من يشاقق الله ورسوله. فهو لم يعطل شيئاً رغم طبيعة البشر في كراهية القتال، ورغم خوفهم الشديد؛ لتأكّدهم - حسب المقاييس البشريّة - أنّ المعركة محسومة لغيرهم، وأنّهم مهما صبروا فصربرهم لن يطول، وسوف يُبادون عن آخرهم. ولكن الله ذكّر المؤمنين في هذه الآيات من سورة الأنفال بنعمه وامتّن عليهم؛ إذ أسعفهم بما يثبت أقدامهم ويذهب عنهم رجز الشيطان قبل المعركة. وبها يزيد عددهم وعدّتهم ويشجّعهم على القتال في أثنائها؛ رحمة بهم بعد أن ابتلاههم بما لا يطيّقون. وبعد المعركة أثابهم نصراً عزيزاً دانت له العرب وخفّف عنهم وطأة الحرب.

المجموعة الثانية من الآيات:

قال عز وجل: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42) إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكٍ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكُهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (43) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (44)﴾ [سورة الأنفال: الآيات 42-44].

تندرج هذه الآيات تحت سنّة: إنّ الله لطيف لما يريد، أي: إذا أراد الله عز وجلّ أمراً يسّر

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي و أ.د. عبد الحلیم بوزید

له أسبابه في لطف بحيث لا يستطيع الإنسان رده، وغزوة بدر من جزئيات هذه السنة. قال البقاعي (885هـ): "... أن ما فعله والجاري على سنن سنته المطرد في قديم عادته عند من يعلم أيامه الماضية في جميع الأعصر الخالية. ولما ذكر لهم يوم ملتقاهم، صور لهم حالتهم الموضحة للأمر؛⁵⁴ إذ كان المؤمنون بالعدوة⁵⁵ الدنيا القريبة من المدينة، والكفار نزولاً بالبعيدة، وعير أبي سفيان بما معه من التجارة أسفل من المؤمنين، أي ممّا يلي سيف البحر، فجمع الله بين المسلمين وقريش على غير معاد، ولو تواعدوا لثبط المسلمون كثرة المشركين، وثبط المشركين تهيب الرسول ومن معه.⁵⁶ ويبيّن الله لهم، أنّهم لو كانوا هم من ربّ هذا اللقاء لما كان بهذا الأحكام قال ابن عطية (542هـ): "وإيضاحه أنّ المقصد من الآية نعمة الله وقدرته في قصة بدر وتيسيرهما يسر من ذلك، فالعنى إذ هيأ الله لكم هذه الجمال ولو تواعدتم لها لاختلتمت إلا مع تيسير الذي تم ذلك... ثم بين تعالى أن ذلك إنما كان بلطف الله".⁵⁷ ثم أوضح لهم سبب ذلك وهو: نصر الدين، وإعلاء كلمة الحق على الباطل؛ لتكون الحجة قاطعة، فيستمر في الكفر من استمرّ فيه على بصيرة، ويؤمن من آمن عن دليل ساطع.⁵⁸ وأتبع ذلك بلطفية أخرى من جملة ألطافه، وهي رؤية النبي ﷺ الكفار في المنام وهم قليل، وهم بالفعل قليل، سواء بالنظر إلى إمداد الملائكة، أو بالنظر إلى تأويل القلة بكونهم سينتصرون عليهم. ولم تمر الآية دون ذكر سبب هذا الفعل من الله تفضلاً -لأنّه يسأل ولا يسأل- وهو حتى لا يتنازع المؤمنون فيفسلوا؛ فهو عليم بذات الصدور وبطبيعة البشر في مثل هذه القضايا.

وليستدلّ الله سبحانه على أنّ كل الأمور والأحكام ترجع إليه، وأنّه إذا أراد شيء قال له: كن فيكون، أو يسّر له طرقاً في غاية السهولة وتُحقّق الهدف المطلوب، أخبر أنّ في يوم بدر أغرى كلاً من الفريقين بالآخر وقتله في عينه ليطمع فيه.

ولكن ما إن بدأت المعركة وأيدّ الله المؤمنين بالملائكة أرى الله الكافرين المؤمنين مثلهم رأي العين.⁵⁹

وجاء في أيسر التفاسير: "وقوله تعالى: ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ تعليل لتلك التدابير الإلهية لأوليائه لنصرتهم وإعزازهم وهزيمة أعدائهم وإذلالهم. وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى

اللَّهُ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٦٠﴾ إخبار منه تعالى بأن الأمور كلها تصير إليه فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن خيراً كان أو غيراً".⁶⁰

فإذا أَرَدَ اللهُ أمراً كان حتماً مقضياً، ولا تستطيع قوّة البشر ولا قوّة الطبيعة تعطيله، ويسرّ لتحقيقه حتى الأمور الغيبية، في شكل رحمة إلهية؛ مراعاة للطبيعة البشرية. ويستنتج أنّ هذه المجموعة من الآيات تحقّق الإجابة الثالثة أيضاً.

المجموعة الثالثة من الآيات:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (61) وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (62) وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (64) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (65) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ صَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (66) ﴾ [سورة الأنفال: الآيات 61-66]

[66].

الشاهد في هذه الآيات الآيتين الأخيرتين، ولكن ذكر ما قبلها لئيفهم معناهما من خلال السياق. فالآيتان جاءتا في سياق الحديث عن معاملة الرسول ﷺ للمشركين في حالة الجنوح للسلام أو الخيانة. فأمره الله أن يجنح للسلام إن جنحوا لها، وأن يتوكل عليه في ذلك لأنه هو السميع العليم. أما إن أراد المشركون خيانتته، فيعلم الله عز وجل نبيّه أنه حسبه؛ فقد أيده بنصره، وباجتماع المؤمنين من حوله الذين ما كانوا ليتحابوا ويجمعوا لولا قدرة الله ولطفه.⁶¹ ثم أمر نبيّه بتحريض المؤمنين على القتال، وبشّره أنّ عشرين من المؤمنين يمكن لهم أن يهزموا مائتين من المشركين، وإن كان منهم مائة يغلبوا ألفاً بشرط توفر عنصر الصبر؛ لأنّ الخصوم " لم يفقهوا أن الله مُوجبٌ لمن قاتل احتساباً وطلب موعود الله في الميعاد ما وعد المجاهدين في سبيله؛ فهم لا يشبتون".⁶² ثم خفف الله عنهم؛ مراعاة لضعفهم وأخبر أنهم سيغلبون مائتين إن كانوا مائة وألفين إن كانوا ألفاً. وأكد مرة أخرى على الصبر وأنّ الله دوماً

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي وأ.د. عبد الحليم بوزيد

مع الصابرين. يقول ابن عطية (542هـ): "وقوله: **"وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ"** لفظ خبر في ضمنه وعد وحض على الصبر، ويلحظ منه وعيد لمن لم يصبر بأنه يغلب".⁶³ والمؤمنون منصورون إن هم لازموا أسباب النصر والصبر واعتصموا بالله وتوكلوا عليه.⁶⁴

فتدافع الحق والباطل وما يندرج تحته من وجوب الصبر والثبات سنّة، ولا تَبْطُلُ لضعف الناس أو لضعف المسلمين. ولكنّ الله خَفَّفَ بعض الجزئيات المتعلقة بها رحمة بعباده؛ فهو واضعها ابتداء. فهذه الآيات أيضا تؤكد الإجابة الثالثة وتؤيِّدها.

الخاتمة:

من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ما يلي:

- من سننه تعالى: **"سنّة الرحمة مع البلاء"**، وتعني أنّه ما من سنّة قهريّة إلا سبقتها أو صحبتهما أو تبعتهما رحمة إلهيّة.
- يجب الاستسلام لأمر الله، وليعلم المسلم أنّه كما أنّ سنن الله لا تتبدل، كذلك الله ليس بظلام للعبيد.
- عدم شكر الله بالتنكّر لهذه السنّة، كفر بنعم الله قد يستوجب العقاب في الدنيا برفعها أو بغيره.
- السنن الإلهيّة من جعل الله ووضعها، سواء الطبيعيّة منها أو المتعلّقة بالأفراد والمجتمعات، وما علينا إلا اكتشافها واستخراجها واستنباطها من مضانها، بمنهج خاصّة بها؛ لتتمكّن من فهم الظواهر الطبيعيّة والأحداث والوقائع الراهنة، ومن ثم اجتنابها أو تصحيحها أو تعزيزها. كما يمكن استشراف المستقبل من خلالها واجتناب الكثير من السقطات في هذه الحياة.

التوصيات:

لأهمية معرفة سننه تعالى في الآفاق والأنفس، توصي الدراسة بتكثيف البحوث من جهة استخراجها من كل سورة على حدة؛ لتفهم في سياقها بدقة، ثم يستعان بذلك في معرفة السنن الأصليّة وما يندرج تحتها من السنن التابعة لها في القرآن كله.

- الحواشي والإحالات:

- 1- ابن الجوزي، فنون الأفتان في عيون علوم القرآن، تحقيق: حسين ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1408هـ-1987م: ص 284.
- 2- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1425هـ-2004م: 3/4.
- 3- أبو جعفر النحاس، الناسخ والمنسوخ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1409هـ: ص 131-132. قال السيوطي: "وهكذا أخرجه بطوله، وإسناده جيد، رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين." (السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، 1432هـ-2011م: ص38).
- 4- رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ". حديث رقم 4368، ضبط وترقيم: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، دط، 1992م: 1703/4.
- 5- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي: ص145. وقال السيوطي في الدر: "وأخرج سعيد بن منصور والبخاري وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر وفي لفظ: تلك سورة بدر. (السيوطي، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين، الدر المنثور، دار الفكر، بيروت، 1993م: 3/4).
- 6- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1405هـ-1985م: 360/7.
- 7- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، دط، 1997م: 245/9.
- 8- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1376هـ-1957م: 194/1.
- 9- ابن عطية، محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ-1993م: 497/2.
- 10- ابن عاشور، التحرير والتنوير: 246/9.
- 11- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، حديث رقم 15655، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، دب، ط1، 1420هـ-2000م: 370-371/13. والحديث رواه الحاكم في المستدرک، كتاب قسم النفي، حديث رقم 2607، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1990م: 147/2. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخزجاه.
- 12- محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق، بيروت، ط9، 1402هـ-1982م:

- ص 515. والأصح أن يقال: "التي ظهرت بعد غزوة بدر وهي صالحة في معظمها لكل الغزوات".
- 13- محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، دط، دت: 3055/1.
<http://www.almeshkat.net>
- 14- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، 1415 هـ - 1995 م: 181/3.
- 15- رشيد رضا، محمد بن علي بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1990 م: 497/9.
- 16- محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، القاهرة، ط4، 1420 هـ - 2000 م: ص 140.
- 17- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط17، 1412 هـ: 1523/3.
- 18- أحمد مختار البرزة، في إعجاز القرآن: دراسة تحليلية لسورة الأنفال المحتوى والبناء، دار المأمون للتراث، دب، ط1، 1407 هـ - 1988 م: ص 308.
- 19- ينظر المرجع السابق: ص 51. ووهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418 هـ: 237/9-239. وابن عاشور، التحرير والتنوير: 247/9.
- 20- أحمد مختار البرزة، في إعجاز القرآن: دراسة تحليلية لسورة الأنفال المحتوى والبناء: ص 532.
- 21- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دب، ط1، 1399 هـ - 1979 م: 60/3-61.
- 22- الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، دط، دت: 267/3.
- 23- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ: 225/13-226.
- 24- الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي: 369/9.
- 25- ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، المكتب التعليمي السعودي، المغرب، دط، دت: 23/13. وابن عطية، المحرر الوجيز: 477/3. وأبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين لأندلسي، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، دط، 1420 هـ: 93/7.
- 26- ابن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية: 19/13-20.
- 27- الكفوي، أبو البقاء، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت 497/1-498.
- 28- عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1413 هـ - 1993 م: ص 13.
- 29- أبو مريم محمد الجرتلي، السنن الإلهية في فهم الواقع. <http://www.alukah.net>
- 30- راشد سعيد شهوان، السنن الربانية في التصور الإسلامي، الأكاديميون للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1430 هـ -

- 2009م: 438/2. وأكد أيضا على الخاصية الربانية للسنن، محمد باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن، أعاد الصياغة: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، دب، 1409هـ-1989م: ص 68-71.
- ³¹ مجدي عاشور، السنن الإلهية: مصادرها وضوابطها، مجلة المسلم المعاصر، العدد 111، 18/3/2004م، ص 1.
- ³² ابن تيمية، التفسير الموضوعي، تحقيق: د. عبد الرحمان عميرة، دار الاعتصام، دب، دط، دت: 78/1.
- ³³ مجدي عاشور، السنن الإلهية: مصادرها وضوابطها، مجلة المسلم المعاصر، العدد 111: ص 1.
- ³⁴ المرجع السابق: ص 10-17. وتعرض لبعض هذه الضوابط، باقر الصدر، السنن التاريخية في القرآن الكريم، دار التعارف للمطبوعات: ص 83-93. كما فصل في الضوابط الغير لفظية راشد سعيد شهوان، تأصيل علم السنن الربانية، مجلة القسم العربي، العدد 15، 2008م: ص 16-22. وينظر كذلك هل النصر سنة؟ سنن النصر الإلهي في القرآن: ص 76-77. <http://www.almaaref.org>
- ³⁵ عبد الكريم زيدان، السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية: ص 16.
- ³⁶ ينظر الطبري، جامع البيان: 408/13. وفخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1420 هـ: 458/15.
- ³⁷ الطبري، جامع البيان: 418/13.
- ³⁸ البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت: 233/8.
- ³⁹ البقاعي، نظم الدرر، دار الكتاب الإسلامي: 238/8.
- ⁴⁰ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الأندلس: 297/3.
- ⁴¹ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط 2، 1420هـ-1999م: 38/4.
- ⁴² ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة: 43/4. وينظر الطبري، جامع البيان، مؤسسة الرسالة: 487/13-488.
- ⁴³ الطبري، جامع البيان، دار الكتب العلمية: 245/6.
- ⁴⁴ ينظر ما يؤيد هذا الكلام ويفضله، ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/9-32. وكذا أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 5، 1424هـ/2003م: 316/2.
- ⁴⁵ ابن عاشور، التحرير والتنوير: 38/10. وينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 76/4. وأبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، دب، دط، دت: 3157/6. وسيد قطب، في ظلال القرآن: 1523/3. والقاسمي، محاسن التأويل: 308/5.
- ⁴⁶ رشيد رضا، تفسير المنار: 28/10.
- ⁴⁷ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 77/4.

بين القوانين الإلهية والطبيعة البشرية في سورة الأنفال نبيلة عايسي وأ.د. عبد الحلیم بوزید

- 48- الرازي، مفاتيح الغيب: 495/15. وينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 78/4.
- 49- الطبري، جامع البيان: 19/14.
- 50- ابن عاشور، التحرير والتنوير: 45/10.
- 51- ابن عطية، المحرر الوجيز: 541/2.
- 52- ينظر الطبري، جامع البيان: 407/13-408. وابن عطية، المحرر الوجيز: 502/2. والزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407 هـ: 199/2-200.
- 53- ينظر في كون هذه الآيات تذكير بنعم الله ومنه، الرازي، مفاتيح الغيب: 460/15-463. والقاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، محاسن التأويل، تحقيق: محمد لعيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1418 هـ: 264/5. وابن عاشور، التحرير والتنوير: 285-297/9.
- 54- البقاعي، نظم الدرر: 285/8. كما بين ابن عاشور أن الأمر سنّة وأنّ الله ينصر المؤمنين مهما كانت الموانع المعتادة. (ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير: 20/10-21).
- 55- العدو: الجانب المتجاوز للقرب. (الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، ضبط: هيثم طعيمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م: ص339).
- 56- ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا: 39/4. والقرطبي، أحكام القرآن: 21/8. والزمخشري، الكشاف: 224/2.
- 57- ابن عطية، المحرر الوجيز: 533/2.
- 58- ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة: 40/4. وابن الجوزي، زاد المسير: 213/2-214.
- 59- للتوسع في هذه المعاني ينظر الطبري، جامع البيان: 569/13-573. والزمخشري، الكشاف: 225/2. وابن عطية، المحرر الوجيز: 534/2-535. وابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/10-27.
- 60- أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط5، 1424 هـ - 2003م: 312/2.
- 61- ينظر الطبري، جامع البيان: 40/14-50. والرازي، مفاتيح الغيب: 500/15-503. والبقاعي، نظم الدرر: 316/8-320. والبيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ: 65/3-66.
- 62- الطبري، جامع البيان: 51/14.
- 63- ابن عطية، المحرر الوجيز: 551.7/2.
- 64- مجموعة من العلماء، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إشراف: مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، الشارقة، ط1، 1431هـ-2010م: 178/3.



Between divine laws and human nature in Surah Al-Anfal

-study rooting for a sunnah of mercy whith scourge-

By: Nabila Aisi & Pro. Abdelhalim Bouzid

Batna university -1



Abstract:

This study tries to extract sunnah allah which the existence is observed and tested at any time of the individual and group life, through surat Al-Anfal, the Medinan and applied surat. But this sunnah is less considred than the emergence of others ones because of the humain beings feels pain so deeply than he considers what thrighters his existence, this is the sunnah of mercy whith scourge which affects the individual or the group. The verses analysis study summarize the hard sunnah which is not a consequence of man behavior, so the mercifule one set up to highlight the hardest action on the individual. .

Keywords: Surah Al-Anfal ; scourge ; mercy; human nature ; divine laws.

